

بعد تأجيله.. «لست جارية» يعود إلى الأضواء

تعريية ازدواجية المجتمعات العربية والخوض في عوالم الفساد والصراع الطبقي



وائل العدس

بعدما صور العام الماضي بين دمشق وطرطوس، أرأتى صناعه تأجيل عرضه إلى رمضان المقبل وكان لهم ما أرادوا، حيث من المقرر عرض مسلسل «لست جارية» عبر عدة قنوات مع حلول أول أيام الشهر الكريم.

المسلسل من تأليف فتح الله عمر، وإخراج ناجي طعمي، وإنتاج المؤسسة العامة للإنتاج الإذاعي والتلفزيوني بالشراكة مع مؤسسة «الفراس»، وبطولة: عبد المنعم عميري، وكندا حنا، وعبد الهادي الصباغ، وإمارات رزق، وزهير رمضان، وضحي الدبس، وسوسن ميخائيل، ورنا شمس، ومحمد خير الجراح، وريم عبد العزيز، وتولين البكري، وهناء نصور، وعلي كريم، ويزن الخليل، ورشا بلال، ومديحة كنيفاتي، ومجد حنا، ويامن سليمان، ويوسف سساف، ومي مرهج، وأحمد رافع، وريم معروف، ووفاء بشور، ومضر جبر وآخرين.

قصة العمل

يتخذ العمل من مأساة (ميس)، وعلاقتها متعددة المناحي بمن حولها إطاراً عاماً تتلخص بمناقشة قضية انقلاب القيم في مجتمعاتنا العربية المعاصرة، وانحسار مفهوم الشرف بحيث لم يعد يشمل إلا ما يتعلق بالمرأة التي شعورها بالذنب، ولأنها تحبه، وتسعى للدفاع لتدوين أخطائها بر (المعيار الاجتماعي السائد) في دفتر عار تظل تلاحقها، على حين يتم على الأغلب تجاهل الجاني أو الشريك بالخطأ ما دام أنه رجل على حين الانحرافات الأخلاقية الأخرى كالغش والرشوة، واستغلال النفوذ، فغالباً ما ينظر إليها على أنها أذلة شطارة،

ف«غالب» عنده عقد لا يستطيع تجاوزهها كأغلبية الشباب العربي، هو يحب «ميس» كثيراً، لكنه لم يتقبل السر الذي تخفيه، فتضاعف الهم لديه، ودخل في أزمة نفسية، إضافة إلى أن ظروف نشأته والعلاقة المتوترة بين والديه، خلقت لديه الاستعداد للذهاب باتجاه سلوك نفسي غير معتاد، مظه مثل أي شخص يعيش في هذا العالم الذكوري.

وأشار إلى أن العمل يتناول أزمات نفسية، واجتماعية، وأسرية عدة تعانيتها مجتمعاتنا العربية، ومهدت لما وصلنا إليه.

عقدة الذنب

تجسد كندا حنا شخصية «ميس» التي تشكل مأساتها، وعلاقتها المتشعبة بمن حولها الإطار العام لحكاية العمل.

بين الظلم والتحمل

يؤدي عبد الهادي الصباغ شخصية «أبو



نورس» والد «ميس» وهو رجل حازم، ظالم، حاد الذكاء، لا يترك نأراً له مهما طال الزمن، ويتجاوز كل الخطوط الحمراء لتحقيق مصالحه، وإلحاق الأذى بمن يقف في وجهه، ويحرص على تلقين دروس الفساد لأولاده، ويرى أن تجاوزه لكل الاعتبارات الأخلاقية دليل شطارة.

أما نساء تصور التي تؤدي دور «أم نورس» فتقول إنها تقدم شخصية بعيدة كلياً عن شخصيتها الحقيقية، فهي المرأة التي تحمل همّ الجبال، وتتحمل الظلم والأسى وتبقى صامدة لتعطي الآخر فرصة التغيير، قبل أن تنفجر في اللحظات الأخيرة.

وأكدت أن «أم نورس» هي المرأة التقليدية التي لا تريد أن تفصل عن زوجها كي لا يتشرد أولادها أو تنتشر عندهم صدمة، فتحمّل النذل والفقر والإهانة من زوج جبار وحقيقر، لكنها بالنهاية تخرج عن طورها وتقف مع أولادها ليحققوا أمنيتهم.

بين الجشع والتعنيف

كذلك يبدو رجل الأعمال «فؤاد أبو غالب» الذي يؤديه زهير رمضان انتهازياً، جشعاً، استولى على أموال زوجته السابقة «حنان»، وعمه «ميس»، التي ذابت على يده الأمرين، وانعكس ظلمه لها على ولديه «غالب»، و«منى» اللذين تحولوا إلى شخصين مأزومين، كما يسعى الأب بعد تخليه عن أسرته، لتحقيق مصالحه، عبر العديد من العلاقات السائبة القائمة على الاستغلال.

ضحى الدبس التي تؤدي دور «حنان» تسعى لأداء هذه الشخصية بعيداً عن الصورة النمطية للمرأة المعنفة، فرغم ملامح الانتسار في عينيه، إلا أنها كأم تنتزع لحظات القوة كي تبقى واقفة إلى جانب ولديها، وتوجههما، رغم إيمان أفعالهما في تحطيمها.

وأوضحت أن العمل يركز على نقطة في غاية الأهمية هي أن العنف يتحول إلى دوامة تنتقل من جيل إلى جيل، ما لم يكن هناك وعي بذلك.

أسرة صالحة

بالمقابل تظهر عائلة «بشير مهرا» (أحمد رافع) كمن تقاوم الطوفان، حيث يحاول الرجل بكل ما أوتي من حكمة وجهد أن يكون أسرة صالحة، ليواجه خلال ذلك عقبات كثيرة، أهمها تحكم قانون الشارع في تربية الأولاد.

وكشفت أن «منى» تتعرف على عدة رجال وتخطب لأحدهم، فتنتزع منه سيارته ومزله، لكنها بالوقت نفسه لا تتصرف بصرفات غير أخلاقية وإنما «فشة خلق» فقط، فهي إنسان طيب وبالنهاية تنتصر فيها بذرة الخير.

تتحول إلى عقدة نفسية متحركة، لكنها طيبة، ويقدر ما تبدو أفعالها قاسية، إلا أنها خارجة عن إرادتها، ومبررات قسوتها واضحة للمشاهدين، حيث تسيطر عليها المخاوف من خوض تجربة الحياة الزوجية، بسبب إخفاق زواج أمها.

عقدة متحركة

تؤدي رنا شمس دور «منى» وتدير صالون تجميل، تعيش آثار الظلم الممارس بحق والدتها من والدها، ما يتسبب لها بعقدة في علاقتها بالرجال، وبغية تعويض النقص، تتحول إلى فتاة شرسة وغير متوازنة.

وتكشفت أن «منى» تتعرف على عدة رجال وتخطب لأحدهم، فتنتزع منه سيارته ومزله، لكنها بالوقت نفسه لا تتصرف بصرفات غير أخلاقية وإنما «فشة خلق» فقط، فهي إنسان طيب وبالنهاية تنتصر فيها بذرة الخير.

تتحول إلى عقدة نفسية متحركة، لكنها طيبة، ويقدر ما تبدو أفعالها قاسية، إلا أنها خارجة عن إرادتها، ومبررات قسوتها واضحة للمشاهدين، حيث تسيطر عليها المخاوف من خوض تجربة الحياة الزوجية، بسبب إخفاق زواج أمها.

فتاة جميلة

بدورها تؤدي مديحة كنيفاتي دور فتاة جميلة تقع في حب رجل متزوج فتسبب له الكثير من المشاكل من زوجته وفي حياته العائلية.

وقالت إن المسلسل يتناول تفاصيل عن انهيار القيم في المجتمع، وعن حصر الشرف في المرأة فقط في الوقت الذي يكون فيه للرجل أخطاء مغفورة، لكن هناك انقلاب على الكثير من المفاهيم أو ربما يصلح لأن يسمى تمرداً للمرأة نتيجة الضغوط الاجتماعية الممارسة عليها.

سيدة ثرية

وتظهر سوسن ميخائيل بدور سيدة ثرية متزوجة من رجل أعمال فاسد، وتسوء علاقتها بعد اكتشاف خيانتته لها.

«محمود الساجر.. تعبيرية بلا ضفاف» عائد ليبي عالمه الخاص

الخط بإيقاعاته ليزيل بعض الغبار عن تفاصيل الأشياء ويضيء زوايا الواقع، يحمل الرسم بين سمياته سائماً التغيير ورائحة آداب ومتعة الوجود..

ألوان محمود الساجر

تغرد الألوان، الأحمر والأزرق والأسود والأحمر، قبل كل شيء بتجانسها، وتعبر تماماً عما يراه الفنان بداخله وليس بيعينه، ولا تقتصر مهمتها على إيقاظ إحساسنا، فبدلاً من أن تتمثل الألوان الشيء وتكفي معه، نراها ترفض ماهيتها الخاصة عليه فتقلعه وتجنه، وعليه فإن هذه الماهية تترك للعن الثقافة نفسها أينما حلت من دون اختيار للوسط أو المكان الذي تشغله فلا تتغير مع تغير الضوء، مضيئاً: «إنها دراما بيد أننا لا نرى فيها إلا الضحية، أن قوى شريرة تعذبها لكننا نجهل كل شيء عنها... أن فناناً لا يكشف عن الشر ولا عن أي شكل من أشكاله، إنه يدعنا، بكل بساطة، نشعر بوجوده. الألوان تنموذج على القماش طبقات رقيقة وشفافة وألصقا على قماش اللوحة، ولا تزداد سماكته إلا في حالات معينة، لكن إحساسنا بالسماكة يزداد لاستعمال الألوان على شكل التواءات، على حين انتشارها على شكل مساحات بمبختا، على العكس من ذلك، إحساسنا بالثقل تجاه هذا العالم، وهكذا فإن اختلاف المعجونة وتوزيعاتها تقودنا، دونما توقع نحو الإيقاع. يتجلى الإيقاع بالفعل بواسطة الحركات، وتوزيعات كثافة الألوان والحركة السريعة لهذا المتوج».

في اللوحة المعاصرة

أصبحت اللوحة المعاصرة تتعدّد قليلاً عن التعبير المباشر عن الواقع والأساطير وتقترب كثيراً من التعبير عن عوالم الإنسان الجمعية والفردية. اللوحة في الماضي خضعت لقوانين وسلطات ومحاكم، وبدأت تتحرر من هذه التبعية والوصاية في منتصف القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، بداية الفن الحديث والانطباعية، متابعاً حمادة «لقد تخلى الفنان عن التبعية والمعايير وتخطى خطوط وقواعد الكلاسيك والأكاديمية وبدأ يخلص من سراديب هواجسه. عاد ليبي عالمه الخاص ويؤكد دوره الفردي وأهميته ويعبر عن انفعالاته وقناعاته ويحتل مكاناً وساحة في المجتمع».

أو رصاصه قنص، قد تقرر نهايتك. وتابع المؤلف في ذكر بعض من الأعمال التي تناولت الحرب والنصر والثورات... من أهمها: لوحة (دينكا) حصار ليننغراد، وموسكو، الدفاع عن (سيفاستوبول) (١٩٤٢)، فنان روسي آخر (فازنيسوف)، لوحة «بابيلو بيكاسو» (غرينكا)، جريمة «فراونكو».

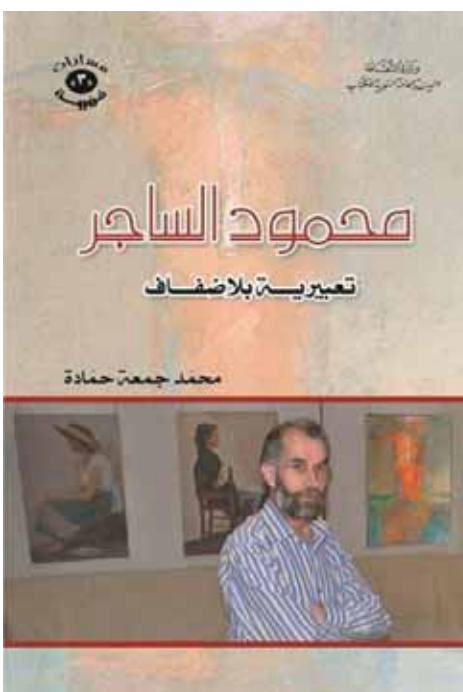
ما يتم إنجازه

هناك جانب ذكره المؤلف حمادة ويتعلق بلوحات الفنان محمود الساجر حيث يقول «إنها لم تحصل على مكانتها حتى الآن. أعتقد ذلك بسبب ابتعادها عن الصبغات التزيينية (ديكور) والمناظر الطبيعية التجارية والانطباعية» مستشهداً بقول الفنان «أعمالي قد تتعب المشاهد أو العين بتعبيراتها وقلقها».

كما استعرض المؤلف اللوحات التي يعمل الفنان على إنجازها، فهي مجموعات، قياسات كبيرة، ومتوسطة، وصغيرة جداً: مجموعة صغيرة ٢١×٢١×٢٤ عملاً، ٢٠×٢٠×١٢ عملاً، ٢٠×٢٠×٣ عملاً، جميعها تحمل روحاً واحدة، العنكس مسطر، الحلول اللونية مختلفة، حالات إنسانية، ومجموعة أخرى تحمل شخصاً إنسانياً بتحويرات جميلة، وتأثيرات ناعمة، ودلالات مفروءة، وهناك بعض المجموعات يحاول إنهاءها فيها قليل مما يحدث حولنا.

في البورتريه

يمثل الفنان التشكيلي الساجر حالة فريدة، تحمل رؤية تشكيلية خاصة، تتحلى بقدرات من المعرفة والثقافة، مشحونة بالهواجس وحرارة الفلق، تسجل انكسارات الروح وسقوط الأنفة، تحاول التمرد على الواقع والعادات، وتحريك هذا الركود الصعب، وتضع إلى ترك علامات مميزة فوق جدار التشكيل وفي فضاء العصر. مضيئاً: «يرسم كي يكون متفرداً عن الآخر، متميزاً عن مجاميع التخلف، بعيداً عن رائحة القطيع، خارجاً من عباءة الجهل، وعلى زوايا التحريم، حالماً في كسر عصا الطاعة، وصمت الماء. في إعادة ترتيب جماليات الفكر والملاحم، يرسم صدق الرؤية وثورة التعبير، لأن فيه تتجلى جماليات الشكل وعبقريه الخط، في الرسم يأتي



الحرب في رأي الساجر

إن الحرب برأي الفنان التشكيلي محمود الساجر جميعها ضد الإنسانية والثقافة، لأنها تجر الويلات والنكبات والماسي والآلام للناس جميعاً. ليس هناك منقصر في الحروب، قد تكون هناك مبررات اقتصادية سياسية... إلخ.

لكن الحرب حرب، تحمل الموت والدمار والجوع.. وتحرق سنابل القمح وبيض الروح. الآن نحن نعيش حالة من الفوضى والقتل الجاني والإرهاب بجميع أشكاله، كأنثاات جميلة، أشخاص أفرطوا في وطنيتهم، بغارونك بعد لحظات من دون عودة، لا أحد يتكلم عن الحقيقة، شظية

خبره عندما كان في الصف الثاني الابتدائي في منبج، يوم توفي أخوه الصغير أحمد عن عمر سنتين. كان جميلاً جداً، فجأة انطفأ ومات. يقال إن العين خطفته. أما الجد والجدة فقد كانت وفاتها طبيعية. أما عن أكثر حالة وأكبر فاجعة كانت مفاجأة العمر لهم جميعاً فهو موت أخيه فواز».

لوحات الساجر

تحدث المؤلف عن لوحات الفنان التشكيلي قائلاً: «إن لوحات محمود حضور للاحساس والانفعال واللون وإيماءات لونية وتشكيلات من أوراق النازكة، حالات إنسانية لا تعرف السكن، فهي قلقة دائماً تبحث عن مساحات للروح المتعبة. إضاءات لتديد العنمة». متابعاً في مكان آخر «يحاول محمود أحياناً الخروج من مفهوم اللوحة والدخول في بعض المجسمات والمواد والخامات التي تمتص قليلاً من التوتر، وتمنحنا كثيراً من المفاجآت والنتائج المدهشة والقيمة. قد تعتبر استراحة تطبيقية، تركيبية، لكنها في النتيجة عمل إبداعي يجمع بين كل الفنون التشكيلية. يعود إلى لوحته التعبيرية بمفوماتها الأكاديمية، وقد يتجاوز ذلك إلى تعبيرية تجريدية، وحالات لونية، قد يكون تجريداً خالصاً، ليس هناك مشكلة. يعتقد أنه على الفنان ألا يقيد نفسه بأسلوب أو تكنيك، لأن ذلك سيؤدي إلى النمطية، والتكرار، أسير اللوحة الواحدة».

الفن التشكيلي السوري ينظر الساجر

يرى الفنان محمود أن الفن التشكيلي السوري ومن خلال فترة قصيرة جداً زمنياً، خطا خطوات سريعة جداً مهمة عالمية معاصرة منافسة لتجارب الآخرين، متابعاً المؤلف في كتابه عن لسان الفنان «ولكن ما يقفص الفن التشكيلي السوري هو الإعلام المتخصص الموضوعي وعدم قيامه حين يقوم بتغطية جادة للتجارب الفنية وخاصة الشبابية وتشجيع الفنانين الواعدين، والدراسة الأكاديمية ضرورية وأساسية بالطبع. وحجر زاوية في المسار التشكيلي، والمهيمه قد تكفي لإنتاج العمل الفني. لكن العملية الإبداعية بحاجة للجانبين».

سوسن صيداوي

إنه دائماً مسكون «بأناشيد الحياة»، وانفعالات العاطفة، وتدايعات الأسئلة، وصدى السراب. يسكب تناقضاته ولعناته فوق سطح اللوحة وبين مسامات القماش، يمنحها سناثم القلق وتراتيل الروح، يخلق بين تجليات اللون وبين جماليات التشكيل، محكوم بمتعة الخلق ورائحة الإبداع، هذا ما وصف به المؤلف محمد جمعة حمادة الفنان التشكيلي محمود الساجر في كتابه الصادر عن الهيئة العامة السورية للكتاب، وضمن محاضرة (مسارات فنية) الذي جاء حاملاً عنوان (مسودة الساجر.. تعبيرية بلا ضفاف)، في ١٦٦ صفحة من القطع الكبير.

بعض من نشأة

حسب المؤلف محمد جمعة حمادة «الفنان الساجر من مواليد منبج/ حلب ١٩٥٥، خريج المعهد العالي للفنون الجميلة سوريكوف روسيا ١٩٨٦ اختصاص ديكور وتصميم مسرحي، من عام ١٩٨٩ إلى عام ٢٠٠٣، قام بتصميم وإشراف على تنفيذ ديكور عدة مسرحيات مسرح حلب القومي، من عام ١٩٩٣ إلى عام ٢٠٠٠، كلف عمل أمين سر نقابة الفنون الجميلة فرع حلب، أستاذ محاضر في كلية الهندسة المعمارية بحلب مادة الرسم النظري، من عام ٢٠١١ مدير مركز الفنون التشكيلية، مشارك دائم في المعارض السنوية الرسمية، أقام خمسة معارض فردية، آخرها كان عام ٢٠٠٨ بمناسبة ذكرى مرور عشرين عاماً على رحيل المخرج المسرحي فواز الساجر».

مضيفاً «تميزت طفولته باهتمام شديد: تعويذات من أجل العين، نظافة زاته، ترتيب، إذ شاع في المنطقة خوف من الحسد ومن عين الحسود وبعض المعتقدات والخرافات السائدة» وعن تجربة الفنان الساجر عن الموت يقول المؤلف: «لم تكن فكرة الموت واضحة لدى محمود، لكنه